

2. جثسيماني واعتقال يسوع

يوحنا 18: 1-14

أيام يسوع الأخيرة على الأرض

رابط الفيديو على يوتيوب مترجم إلى 70 لغة: <https://youtu.be/GLBuK6QlBnU>

جثسيماني: مكان معصرة الزيتون

مع بدء الفصل الثامن عشر من إنجيل يوحنا، دعونا نتخيل المشهد. ينهي يسوع صلاته في يوحنا 17 ويعبر وادي قدرون بين الهيكل وجبل الزيتون. يذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس أن 256500 خروفاً تم ذبحها في الهيكل خلال عيد الفصح في عام واحد بين 66-70 م (حروب اليهود 6.9.3). كان دم الحيوانات المذبوحة يُسكب في وادي قدرون، الواقع شرق جبل الهيكل في القدس. خلال عيد الفصح، كانت أفكار التضحية والفداء تملأ أذهان الشعب اليهودي. كان الإسرائيليون يتبعون التقويم القمري، لذلك كان عيد الفصح يُحتفل به أثناء اكتمال القمر، مما ساعد يسوع والحواريين الأحد عشر على الرؤية أثناء صعودهم منحدرات جبل الزيتون. يكتب الرسول يوحنا أن يسوع دخل إلى حديقة (آية 1)، لكن متى ومرقس فقط هما من ذكر اسم تلك الحديقة: جثسيماني. أجرى ر. كنت هيويز بعض المقارنات المثيرة للاهتمام بين جنة عدن وحديقة جثسيماني.

- بدأ آدم الأول حياته في جنة. وجاء المسيح، آدم الأخير، إلى جنة في نهاية حياته.
- في عدن، أخطأ آدم. في جثسيماني، غلب المخلص الخطيئة.
- في عدن، سقط آدم. في جثسيماني، انتصر يسوع.
- في عدن، اختبأ آدم. في جثسيماني، قدم ربنا نفسه بجرأة.
- في عدن، سُحب السيف (تكوين 3:24). في جثسيماني، أُغمد.¹

في هذه الحديقة، كان يسوع يقضي الليالي مع تلاميذه في كثير من الأحيان، ويعلمهم في الصباح الباكر في باحات الهيكل (يوحنا 18: 2). يتساءل البعض لماذا لم يبق مع لعازر ومريم ومارثا على الجانب الآخر من جبل الزيتون في بيت عنيا. فنحن نعلم أنهم كانوا أصدقاء مقربين ليسوع. ربما كان المسيح يريد أن يحميمهم من دينونة قادة الدين. كان يسوع قد جذب بالفعل انتباه الفريسيين واستنكارهم، وأي شخص يُرى بصحبته كان يخاطر بدفع ثمن باهظ، حتى الطرد من الكنيس (يوحنا 9: 22).

سمي جبل الزيتون بهذا الاسم بسبب كثرة أشجار الزيتون التي كانت تنمو، ولا تزال تنمو، على منحدراته. كلمة جثسيماني تعني مكان معصرة الزيتون، وربما كانت حديقة خاصة محاطة بسور؛ وقد يكون صاحبها كان يعمل في عصر الزيت من الزيتون. لا نعرف إلى أي مدى كانت الحديقة تقع على جبل الزيتون، ولكن الدخان المتصاعد من ذبيحة المساء على مذبح الذبائح، على بعد حوالي ثمانمائة أو تسعمائة ياردة على جبل الهيكل، كان يمكن رؤيته من أي مكان على سفوح الجبل.

لا يقدم يوحنا تفاصيل عن الصراع في الصلاة الذي عاشه يسوع، لذا لفهم قصة جثسيماني بشكل كامل، نحتاج إلى الرجوع إلى إنجيل لوقا ومراجعة رواية يوحنا عن الاعتقال.

³⁹ وخرج يسوع كعادته إلى جبل الزيتون، وتبعه تلاميذه. ⁽⁴⁰⁾ ولما وصلوا إلى المكان، قال لهم: «صلوا لئلا تدخلوا في تجربة». ⁴¹ ثم تقدم منهم مسافة حجر واحد، وركع وصلى ⁽⁴²⁾ «يا أباي، إن كنت تريد، فخذ هذا الكأس عني، ولكن لا تكون مشيئتي، بل مشيئتك». ⁽⁴³⁾ فظهر له ملاك من السماء وقواه. ⁽⁴⁴⁾ وكان في ألم شديد، فصلى أكثر، وعرقه كان كقطرات دم تهبط على الأرض. ⁽⁴⁵⁾ ولما قام من صلاته ورجع إلى التلاميذ، وجدهم نائمين من الكرب. ⁽⁴⁶⁾ فقال لهم: «لماذا تنامون؟ قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة» (لوقا 22: 39-46).

¹ R. Kent Hughes. John, That You May Believe. Preaching the Word Series. Published by Crossway, page 414

في البستان، نرى حالة عقل وقلب مخلصنا خلال الساعات الأخيرة من حياته على الأرض. كان الضغط الروحي الذي واجهه عظيمًا لدرجة أنه احتاج إلى ملاك ليقويه (لوقا 22: 43).

كم تعتقد أن يسوع كان يعلم عما سيحدث؟ كان يعلم أن «ساعته قد جاءت»، ولكن هل تعتقد أنه كان على علم بكل ما سيحدث؟ لا يمكننا إلا التكهن.

لم يكن اعتقاله مفاجأة ليسوع؛ فقد كان يعلم كم من الوقت لديه للصلاة ولم يفكر في الهروب أو تجنب ما هو آت، لأنه كان يعلم أن ساعته قد حانت لتمجيد الأب (يوحنا 17: 1). في هذه النظرة الحميمة والشخصية لمخلصنا في البستان، نرى ألمه الشديد، كما يتضح من عرقه الذي كان كقطرات دم (آية 44). كان يستعد نفسه وتلاميذه لساعاته الأخيرة. اختار يسوع هذا المكان عمدًا؛ لم يكن مجرد صدفة أن جاء إلى هذه الحديقة. دعونا نتأمل في أهمية المكان. كان زيت الزيتون يستخدم لإضاءة المصابيح. يبدو من المهم أن نور العالم سيخضع لتجربة ساحقة وضاعطة في جثسيماني.

ليس مشيئتي بل مشيئتك

أخبرنا يسوع أننا، كمسيحيين، نور العالم، تمامًا كما أن المسيح هو نور العالم (متى 5: 14). إذا كنت تريد أن تضيء بشكل ساطع لله، فاعلم أنك قد تضطر إلى تحمل ظلمة تجربة جثسيماني. خلال تلك الفترة المظلمة، قد تضطر إلى اتخاذ خيارات روحية، سواء التخلي عن إرادتك للمسيح أو اختيار الحفاظ على الذات. إذا قلنا، كما قال يسوع، "ليس ما أريد، بل ما تريد"، فعندئذ يجب أن نثق بالله في الرحلة والنتيجة. في هذه التجربة من الضغط والانكسار، سنغري بالاستسلام لطبيعتك الجسدية بدلاً من تسليم إرادتك للمسيح. على الرغم من أن طريق الصليب صعب ويجلب أحيانًا الألم، إلا أنه يثمر كثيرًا. إنه أيضًا الطريق إلى الفرح العظيم والانتصار، كما أظهر يسوع.

قد نفترض أنه كلما اقتربنا من النضج الروحي (البلوغ) في حياتنا المسيحية، أصبح من الأسهل سماع صوت الروح. ومع ذلك، هناك أوقات يترك فيها الله المؤمن الناضج ليتخذ خيارات روحية تحت عين من يرضيه الإيمان. غالبًا ما يسمح لنا الرب بأن نختار بدلاً من أن يخبرنا بما يجب أن نفعله. لماذا يترك الله القرار لنا؟ هل تمنيت يومًا أن يجعل الله الأمور واضحة تمامًا؟ يمكن للكثيرين منا أن يتعاطفوا مع التلميذ توما. عندما أخبر توما بقيامه المسيح، لم يصدق حتى رأى الدليل. بالنسبة له، كان الرؤية هي الإيمان. ما لم ير آثار المسامير في يدي يسوع، ووضع إصبعه في مكان المسامير، ووضع يده في جنبه، لم يصدق توما (يوحنا 20: 25). كان الرب رحيماً جداً معه وأظهر نفسه له في صورة جسدية ليفعل ذلك. قال له يسوع: **"لأنك رأيتني، فقد أمنت. طوبى للذين لم يروا وأمنوا"** (يوحنا 29: 22).

في تجربتنا البشرية، نبحث عن أدلة نبني عليها إيماننا، مثل الأدلة الحسية - شيء نراه أو نختبره. نحن معتادون على هذه الطريقة في تفسير الحقيقة، لكن الرب يريد أن يشحذ حواسنا الروحية حتى نتعلم اتخاذ القرارات بناءً على الإيمان. هذا النوع من الإيمان يرضي الله، أي الإيمان الذي لم يرَ دليلاً لكنه يثق بكل قلبه. في إنسانيته، ومع كل قوى الشر غير المرئية التي تحاول التأثير على خياراته، قرر يسوع: **«لكن لا تكون مشيئتي، بل مشيئتك»** (لوقا 22: 42).

مغمور بالحزن إلى درجة الموت

عندما وصلوا إلى جثسيماني، ابتعد يسوع عنهم قليلاً وركع على ركبتيه وصلى (لوقا 22: 41). يكتب متى أن يسوع كان أحياناً مستلقياً على وجهه على الأرض في صلاة حارة.

³⁷ وأخذ بطرس وابني زبدي معه، وبدأ يحزن ويضطرب. ³⁸ ثم قال لهم: «نفسى حزينه حتى الموت. ابقوا هنا وساهدوا معي». (39) ثم تقدم قليلاً ووقع على وجهه إلى الأرض وصلى قائلاً: «يا أبي، إن كان ممكناً، فلتكن هذه الكأس لا تشربنى. ولكن لا كما أريد أنا، بل كما تريد أنت» (متى 26: 37-39؛ التأكيد مضاف).

تصف عبارة "حزين حتى الموت" (آية 38) أعرق حالة عاطفية يمكن أن يتحملها إنسان حي. يصور مرقس يسوع على أنه "حزين جداً ومضطرب" (مرقس 14:33). طلب الرب من تلاميذه أن يسهروا معه.

لماذا لم يستطع تلاميذ يسوع أن يبقوا مستيقظين ليقظوا؟ ما هي العوامل التي أدت إلى نوم التلاميذ عندما كان يحتاجهم للصلاة؟ هل مررت بلحظة مؤلمة في حياتك مثل لحظة جسيماني؟ ما هي النتائج الإيجابية التي نتجت عن تلك اللحظة؟

بالنسبة ليسوع، كانت هذه فترة صراع روحي ومعاناة جسدية شديدة. لم يستطع التلاميذ البقاء مستيقظين، ربما لأنهم كانوا يواجهون أيضاً صراعاً روحياً، بالإضافة إلى أنهم كانوا مرهقين وعاطفيين، ولم يرغبوا في مواجهة ما كان يحدث. وصف لوقا يسوع بأنه "كان في ألم شديد، وصلى بأكثر جدية، وكان عرقه مثل قطرات دم تتساقط على الأرض" (لوقا 22:44). الكلمة اليونانية التي ترجمت إلى "ألم" هي أصل كلمة "agony" في اللغة الإنجليزية. تُستخدم هذه الكلمة لوصف شخص يخوض معركة وهو يشعر بخوف شديد.²

يعلق جيم بيشوب، في كتابه "اليوم الذي مات فيه المسيح"، على عرقه الذي كان كقطرات دم:

من الناحية الطبية، يُسمى هذا "haematidrosis". يحدث هذا عندما يتراكم الخوف فوق الخوف، وعندما تضاف آلام المعاناة إلى معاناة قديمة حتى لا يستطيع الشخص شديد الحساسية تحمل الألم. في تلك اللحظة، يفقد المريض عادة وعيه. وعندما لا يحدث ذلك، تتوسع الشعيرات الدموية تحت الجلد أحياناً بشكل كبير بحيث تنفجر عند ملامستها الغدد العرقية. يتسرب الدم مع العرق، وعادة ما يحدث ذلك في جميع أنحاء الجسم.³

حدثت حالة مشابهة خلال الحرب العالمية الثانية، عندما قصفت الطائرات الألمانية لندن ليلة بعد ليلة في ما أصبح يعرف باسم "البلتزر". تسبب القصف الألماني المستمر في عدة حالات من التعرق الدموي بين سكان لندن، الذين أجبروا على العيش في محطات مترو الأنفاق بينما كانوا يستمعون إلى القنابل وهي تسقط فوقهم ويشعرون بالأرض تهتز. تسبب الخوف والتوتر في تعرق بعض الناس بالدم.

يعتقد البعض أن كلمات لوقا، "عرقه كان كقطرات دم"، لا تعني أن يسوع نزف من الغدد العرقية. يعتقدون أنه كانت هناك فقط قطرات كبيرة من العرق. باستخدام هذا المنطق، يزعمون أن التفسير الصحيح هو أن التوتر جعله يتعرق أكثر من المعتاد. ولكن، إذا كان هذا صحيحاً، فلماذا ورد ذكر الدم؟ لم تكن درجة الحرارة المرتفعة هي التي تسببت في تعرق المسيح، لأنه بعد بضع ساعات في تلك الليلة، كان الجو بارداً لدرجة أن بطرس كان يدفئ نفسه بالنار بين أسري يسوع في فناء قيافا. لم يكن يسوع يتعرق بسبب الحرارة، بل بسبب طاقة صلواته الحارة أو ربما الخوف أو التوتر. إذا كان يتعرق دمًا في ضوء القمر، لكان من الممكن رؤيته على ثوبه عندما اقترب من التلاميذ. أترك لكم أن تقرر أي تفسير تجدونه أكثر قابلية للتصديق. أعتقد أن الكتاب المقدس يذكر قطرات الدم لأنه كان يتعرق دمًا.

كتب متى عن كأس كان على المسيح أن يشربه: "أبي، إن كان ذلك ممكناً، فلتكن هذه الكأس لا تلمسني. ولكن ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت" (متى 26:39).

ماذا يعني يسوع عندما يقول: "لترفع عني هذه الكأس" (لوقا 22:42)؟ ماذا ترمز الكأس، ولماذا أراد الرب أن تمر عنه؟

² ويليام باركلي. الكتاب المقدس للدراسة اليومية، إنجيل لوقا. دار نشر Saint Andrew Press، صفحة 271.

³ جيم بيشوب. يوم موت المسيح. دار نشر Harper San Francisco، صفحة 169.

استيقظوا، استيقظوا! قوموا، يا أورشليم، يا من شربتم من يد الرب كأس غضبه، يا من شربتم حتى الثمالة كأس التي تجعل الناس يترنحون (إشعياء 51:17).

كان الكأس يرمز إلى غضب الله الذي انسكب على الخطيئة. في جنة عدن، حلت لعنة على البشرية عندما أخطأ آدم، أول إنسان. نحن نستحق الموت الروحي والانفصال عن الله بسبب خطايانا وعصياننا والخيارات الخاطئة التي اتخذناها جميعاً. في جنة عدن، أخبر الله آدم أنه عندما يأكل من شجرة معرفة الخير والشر، فإنه سيموت بالتأكيد. لم يمضِ آدم جسدياً في اليوم الذي أكل فيه من شجرة المعرفة، ولكنه انفصل روحياً عن الله، مما خلق حاجزاً بين الله والإنسان؛ وكانت هذه حالة موت في عيني الله. تحدث النبي حزقيال عن هذا العقاب بسبب الخطيئة عندما قال: "النفس التي تخطئ هي التي تموت" (حزقيال 18: 4، 20).

لو كان هناك أي طريقة أخرى لتحقيق الفداء، لكان الأب اختارها. لم يكن هناك بديل سوى أن يضحي الله بابنه الحبيب في ذل ومعاناة جسدية وعاطفية شديدة، وموت عذاب الصلب. لم يكن هناك حل آخر لعدل الله ومحبة. المسيحية فريدة في هذا الصدد، لأنها تظهر نعمة الله بشكل لا يوجد في أي دين آخر. لم يكن هناك سوى طريق واحد، وكان ذلك أن يصبح الله نفسه البديل. كان لا بد من تقديم ذبيحة كاملة. كان يسوع هو الذبيحة الوحيدة الكافية لتكفير خطايانا. في جميع الأديان الأخرى، يجب على الإنسان أن يتبع مجموعة من القواعد لإرضاء مطالب إلهه، ولكن لا يمكن لأي قاعدة أن تملأ الفراغ الداخلي في قلب الإنسان الذي يتوق إلى الغفران.

هنا نرى محبة الله تتجلى، لأن الرب هو الذي خطط لعملية الفداء. في شخص ابنه، دفع الله نفسه فدية التبديل - ثمن التضحية بالموت من أجل الخطيئة. الثمن مجاني لنا، ولكنه ليس رخيصاً؛ فقد كلفنا خلاصنا من الخطيئة ابن الله. لقد أخذ مكان الإنسان. كان الحكم حازماً وعادلاً: النفس التي تخطئ تموت، لكن يسوع، ابن الله، سيأخذ مكاننا، أي البار من أجل الأثمة، ليقودنا إلى الله.

لأن المسيح مات من أجل الخطايا مرة واحدة لأجل الجميع، البار من أجل الأثمة، لكي يقدمكم إلى الله. وقد سلم إلى الموت في الجسد، ولكنه أحيى بالروح (1 بطرس 3: 18).

قالت محبة الله "لا" لصلوات يسوع أن يزول عنه الكأس؛ كانت هذه المرة الوحيدة التي رُفضت فيها صلاة المسيح. لم يكن هناك طريق آخر سوى أن يأخذ الكأس ويشربه حتى الثمالة.

"ليس بأحد غيره الخلاص، لأنه ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي البشر لكي نخلص به" (أعمال الرسل 4:12).

عندما نفهم تماماً كل ما فعله الله من أجلنا، يكون ردنا الوحيد هو المحبة للذي جعل حريتنا وخلصنا من الخطيئة ممكنين.

هل هناك طريقة أخرى؟ (متى 26:39).

ما الذي احتقره المسيح لدرجة أنه سأل الأب إن كان هناك طريقة أخرى؟

أعتقد أن السبب كان أكثر من مجرد إذلال ابن الله على أيدي الأشرار وأكثر من الألم الذي كان سيتكبده أثناء الصلب. ما كان مختلفاً حقاً هو أن المسيح لطخته خطايك وخطاياي. عندما نكافح الخطيئة، نسعى إلى القداسة والتحرر من الأفكار والأفعال الخاطئة. كمسيحيين، نحارب الخطيئة في ثلاثة جهات مختلفة في نفس الوقت: النظام العالمي الذي نعيش فيه، طبيعتنا الخاطئة، وخصمنا الشيطان مع شياطينه. كاتب رسالة العبرانيين تحدث عن التجربة التي نواجهها جميعاً، قائلاً إنه مهما كافحنا، فإن كافحنا لا يقارن بالكفاح غير المرئي الذي خاضه يسوع في تلك الليلة. "في كفاحكم ضد الخطيئة، لم تقاوموا بعد حتى سفك الدم" (عبرانيين 12: 4).

نجد صعوبة في أن نكون قديسين لأن ميلنا الطبيعي، طبيعتنا الأساسية، تميل إلى الخطيئة. لكن الأمر كان مختلفاً تماماً بالنسبة لربنا يسوع. لم يختبر الخطيئة قط وكان دائماً قديساً، حيث وُلد من عذراء بواسطة الروح القدس. لم يُولد المسيح بالطريقة المعتادة؛

لذلك لم يرث طبيعة خاطئة. بقي يسوع خاليًا من الخطيئة طوال حياته، ومات كحمل بريء من أجلنا وكأنه نحن. كان الرسول بطرس مع يسوع لأكثر من ثلاث سنوات، وتحدث عن المسيح قائلاً: "لم يرتكب خطيئة، ولم يوجد في فمه غش" (1 بطرس 2: 22). بصفته كائنًا قدوساً، الله في الجسد، كانت معاناة المسيح في ذلك اليوم في البستان هي أن يأخذ على نفسه الخطيئة ويصبح تجسيدا حياً لها. لم يكن جهده ضد الخطيئة، بل ليصبح خطيئة عندما صرخت كل خلية في كيانه القدوس ضدها. "عينك نقية من أن ترى الشر، ولا تستطيع أن تنظر إلى الإثم" (حقوق 1: 13).

كان ميله الطبيعي، أي كل دافع في كيانه الإلهي، هو كراهية الخطيئة، لكنه اضطر إلى تحمل الخطيئة لجعلنا قديسين. ما أجمل محبته! "الذين لم يعرفوا خطيئة جعلهم الله خطيئة لأجلنا، لكي نصير نحن بر الله فيه" (2 كورنثوس 5: 21). كانت التجربة التي واجهها هي التخلي عن خطة الآب والهروب من "شرب الكأس". مع كل جزء من كيانه المقدس يبعث الخطيئة، كان عليه أن يتحمل الخطيئة - كل خطيئة في كل زمان وللجنس البشري بأكمله. وقد وضعت عليه خطايا أسوأ الأنواع بصفته حمل الله الكفاري، تمامًا كما وضع رئيس الكهنة في يوم الكفارة يديه على الحيوان المقدم ذبيحة عن خطايا الأمة؛ وهكذا كانت خطة الآب أن «يحمل» يسوع كل خطيئة ارتكبتها أنت وأنا، ليس فقط خطايا الحاضر، بل خطايا الماضي والمستقبل أيضًا. لهذا السبب صرخ المسيح من على الصليب: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" (متى 27: 46).

طوال كل هذا، بقي يسوع ثابتًا في طاعته للآب. ما بدا هزيمة في عيون الناس وحتى بين أقرب أحبائه على الأرض، كان انتصارًا على الخطيئة والموت هو الأعظم على الإطلاق. يكتب بول بيلهايمر في كتابه الرابع «مقدر للملكوت»:

في محاولته لإجبار يسوع على التمرد على أبيه السماوي ونقل ولائه إليه، دفع الشيطان يسوع إلى الموت، «حتى الموت على الصليب». عندما أخفض يسوع رأسه أخيرًا في ألم مميت وأسلم روحه دون أن يتخلى عن خضوعه لأبيه السماوي، هُزم الشيطان. لأن الهدف الأكبر للشيطان في كل ما فعله كان إثارة فكرة صغيرة للتمرد على الآب، وعندما لم يستسلم يسوع لهذا الضغط، انتصر - على الرغم من أنه مات في سبيل ذلك.

عندما يتم تقييم نتائج الجليئة بشكل كافٍ، تظهر على حقيقتها: انتصار العصور. عندما مات يسوع دون أن يخفق في أدق التفاصيل، لم تؤد موته إلى هزيمة هدف الشيطان في الحصول على حق عليه فحسب، بل ألغت أيضًا جميع مطالبات الشيطان القانونية على الأرض والبشرية جمعاء. بموجب القانون العام، عندما يرتكب الإنسان جريمة القتل، يصبح عرضة لعقوبة الإعدام. القاتل المدان يفقد حياته. إنه يدمر نفسه. عندما تأكد الشيطان من موت يسوع، أصبح، لأول مرة في تاريخه الطويل، قاتلاً.

فهو الذي كان له "سلطان الموت" قد قتل الملايين دون عقاب منذ سقوط آدم لأنه كان له الحق القانوني في ذلك. بصفته مالكا للعبيد، كان للشيطان حق قانوني في آدم وذريته. كان بإمكانه أن يفعل بهم ما يشاء. لكن "الذي كان له سلطان الموت" ومارسه على ملايين لا حصر لهم بحصانة كاملة، ارتكب الآن أكبر خطأ في مسيرته الشيطانية... فقد جلب على نفسه حكم الإعدام.⁴

هل استسلمت إرادتك لله من قبل؟ هل إرادتك بين يدي الرب؟ ولد لاعب الكريكت الإنجليزي الشهير، سي تي ستود، في عائلة ثرية وفاخرة في سبعينيات القرن التاسع عشر. تلقى أفضل تعليم يمكن أن يشتريه المال، ودرس في جامعة كامبريدج، حيث أصبح قائد فريق الكريكت الوطني الإنجليزي. كان C.T. Studd يعتبر أعظم لاعب كريكت في إنجلترا. كان كل شيء في صالحه، بما في ذلك ثروة طائلة ورثها عن والده بعد وفاته. لكن الله كان له خطة مختلفة له غير الثروة في هذا العالم. حضر محاضرة ألقاها D.L. Moody عن المسيح وكرس حياته للرب. اختار التخلي عن ممتلكاته وثورته لتكريس نفسه للعمل التبشيري، حتى أنه سافر إلى الصين والهند وأفريقيا. رأى الكثيرون أن هذا القرار كان متهوراً وخسارة كبيرة للموهبة والقدرة. لكن بالنسبة لستود والسنة الآخرين الذين انضموا إليه، كانت هذه فرصة لاستخدام مواهبهم بالكامل. استسلموا لإرادة الله ودعوته وأهدافه. "ليكن لا كما أريد أنا، بل كما تريد أنت." قال C. T. Studd ذات مرة:

⁴ بول إي. بيلهايمر، مقدر للعرش، دار نشر بيتاني هاوس، طبعة منقحة 1996، صفحة 80-81.

إذا كان يسوع المسيح هو الله ومات من أجلي، فلا توجد تضحية كبيرة أستطيع أن أقدمها له.

في أوقات مختلفة عندما كنت على وشك الموت، أدركت أنني لا أتحكم في يوم موتي، بل يسوع هو الذي يتحكم! كان بإمكان المسيح أن يختار طريقة أسهل للخلاص بدعوة ملائكته لمساعدته، لكنه لم يفعل. لقد قبل كأس الغضب الذي استحقته.

القبض على يسوع

بعد أن تكوّنت لدينا صورة كاملة عما حدث في جثسيماني، لنقرأ الآن رواية يوحنا عن اعتقال المسيح.

¹ ولما فرغ من الصلاة، خرج يسوع وتلاميذه وعبروا وادي جدروس. وكان هناك بستان، فدخل هو وتلاميذه إليه. ² وكان يهوذا الذي أسلمه يعرف المكان، لأن يسوع كان يجتمع هناك كثيرًا مع تلاميذه. ⁽³⁾ فجاء يهوذا إلى البستان، يقود فرقة من الجنود وبعض موظفي رؤساء الكهنة والفريسيين. وكانوا يحملون مشاعل ومصابيح وأسلحة. ⁽⁴⁾ وعلم يسوع كل ما كان سيحدث له، فخرج وسألهم: «من تريدون؟» ⁽⁵⁾ أجابوا: «يسوع الناصري». قال يسوع: «أنا هو». (وكان يهوذا الخائن واقفًا معهم). ⁽⁶⁾ ولما قال يسوع: «أنا هو»، تراجعوا ووقعوا على الأرض. ⁽⁷⁾ فسألهم مرة أخرى: «من تريدون؟» قالوا: «يسوع الناصري». ⁽⁸⁾ فقال يسوع: «قلت لكم إنني هو. إن كنتم تبحثون عني، فدعوا هؤلاء يذهبون». ⁽⁹⁾ وكان هذا ليتم ما قيل: «لم أضيع واحداً من الذين أعطيتني». ⁽¹⁰⁾ فأخرج سمعان بطرس الذي كان له سيف، وضرب عبد رئيس الكهنة، وقطع أذنه اليمنى. (وكان اسم العبد ملكوس). ⁽¹¹⁾ فأمر يسوع بطرس قائلاً: «أبعد سيفك! ألا أشرب أنا الكأس التي أعطاني إياها الأب؟» ⁽¹²⁾ فأمسك جنود الفرقة وقادهم والرؤساء اليهود يسوع وقيوده ⁽¹³⁾ وأخذوه أولاً إلى حنان بن قيافا، الذي كان حما قيافا رئيس الكهنة في تلك السنة. ⁽¹⁴⁾ وكان قيافا هو الذي نصح رؤساء اليهود أنه من الأفضل أن يموت واحد عن الشعب (يوحنا 18: 1-14).

كان يهوذا يعرف المكان الذي كان يسوع ينام فيه ليلاً، فجلب معه فرقة من الجنود الرومان ومسؤولين من القيادة الدينية. الكلمة اليونانية *speira*، التي تُترجم إلى "مفرزة"، تشير إلى مجموعة فرعية محددة من الجنود الرومان أرسلت من قلعة أنطونيا في الجانب الشمالي الغربي من جبل الهيكل، حيث كان بيلاطس يقيم ويوجد الحامية الرومانية. كانت هذه المجموعة الفرعية تتألف من 450 مقاتلاً، بالإضافة إلى حرس الهيكل الذي أرسله رؤساء الكهنة والفريسيون. وقدّر البعض أن عدد الجنود قد يصل إلى 600 جندي.

لماذا هذا العدد الكبير؟ ربما لأنهم توقعوا قتالاً واعتقدوا أن هناك المزيد من تلاميذ المسيح في الحديقة معه. ربما أحضروا الفوانيس لأنهم توقعوا أن يختبئ يسوع " ". لم ينتظر الرب أن يأتوا للبحث عنه، بل أخذ زمام المبادرة. خرج من الحديقة إليهم (يوحنا 18: 4). كان قلقه على تلاميذه حتى تستجاب صلاته من أجل حمايتهم في يوحنا 17 أثناء القبض عليه. كان مسيطراً على الموقف برمته. سألهم: "من تريدون؟" ⁽⁵⁾ أجابوا: «يسوع الناصري». قال يسوع: «أنا هو» (وكان يهوذا الخائن واقفًا معهم). ⁽⁶⁾ ولما قال يسوع: «أنا هو»، تراجعوا ووقعوا على الأرض» (يوحنا 18: 4-6).

وصل هؤلاء الجنود مسلحين بالسيف والهرات، مستعدين للقتال. كان الجنود الرومان معروفين بشجاعتهم ونادراً ما يسقطون على الأرض بسهولة. تخيل المشهد عندما انهار هذا الحشد الكبير تحت وجود الرب القوي. عندما نطق يسوع بالاسم اليوناني لله، "أنا هو" (*egō eimi*)، سقط الجنود الرومان على الأرض. (كلمة "هو" غير موجودة في النص اليوناني الأصلي وأضيفت من قبل المترجمين لجعل العبارة أكثر طبيعية وفهمًا في اللغة الإنجليزية).

مرارًا وتكرارًا في سفر يوحنا، نرى يسوع يضيف اسم الله إلى جوانب مختلفة من شخصيته، مثل "أنا الباب"، "أنا الراعي الصالح"، "أنا نور العالم"، و"أنا الطريق"، من بين أمور أخرى. كان هذا عرضًا لقوة خارقة للطبيعة أمام هؤلاء الجنود. كان يسوع يظهر للجنود أنه يسلم نفسه طواعية إلى أيديهم ولم يُقبض عليه قسراً. يا لها من مشهد قوي — مئات الرجال مرعوبون من رجل واحد وأحد عشر من تلاميذه، ولم يستخدم سوى واحد منهم سيفاً للدفاع. سألهم يسوع مرتين: "من الذي تريدون؟" (آيات

7-4)، قبل أن يضمن إطلاق سراح تلاميذه. يخبرنا يوحنا أنه في هذه اللحظة، سحب بطرس سيفه القصير وقطع أذن خادم رئيس الكهنة.

¹⁰ ثم سحب سمعان بطرس، الذي كان معه سيف، وضرب عبد رئيس الكهنة، وقطع أذنه اليمنى. (اسم العبد كان ملكوس). ¹¹ وأمر يسوع بطرس قائلاً: «أبعد سيفك! ألا أشرب أنا الكأس التي أعطاني إياها الأب؟» (يوحنا 18: 10-11).

في تهوره المعتاد، ضرب بطرس بسيفه خادم رئيس الكهنة ملكوس، وقطع أذنه. لماذا لم يهاجم 450 جندي بطرس والتلاميذ بعد تصرف بطرس المتهور؟ على الرغم من أن الكتاب المقدس لا يوضح هذه النقطة، يبدو أن حضور الرب أربك الجنود. مرة أخرى، بقي يسوع مسيطراً تماماً على الموقف، مذكراً بطرس أن الأمر يجب أن يحدث بهذه الطريقة (آية 11) وأنه يجب أن يشرب كأس المعاناة ليغفر خطايا جميع الناس. شُفيت أذن ملكوس على الفور. لم يكن هناك داع للبحث عن الأذن بالفوانيس، ولم تكن هناك حاجة إلى ضمادات. يخبرنا لوقا أن يسوع لمس أذن ملكوس وأعادها إلى حالتها الطبيعية بأعجوبة: «فلمس أذن الرجل وشفاهما» (لوقا 22: 51). أتساءل عما إذا كان ملكوس قد وجد أذنه المقطوعة بعد ذلك في التراب بعد أن أخذ يسوع.

كتب متى أن يسوع قال إن الأمر يجب أن يكون هكذا:

⁵³ ألا تظنون أنني أستطيع أن أطلب من أبي، فيجيبني على الفور بأكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة؟ ⁵⁴ فكيف تتحقق الكتب التي تقول إن هذا يجب أن يكون هكذا؟ (متى 26: 53-54).

لم يهرب المسيح، بل بقي دائماً مسيطراً على الموقف بمواجهة الجنود المسلحين.

هل واجهت يوماً موقفاً يهدد حياتك؟ كيف كان رد فعلك، وكيف غيّر ذلك نظرتك إلى الحياة؟

لا نعرف إلى أين سيقودنا الطريق عندما نستجيب للمواقف بعبارات مثل "لنكن مشيبتك". قد يكون الرد بهذه الطريقة صعباً لأننا لا نعرف أبداً كيف سيقودنا الله أو إلى أين سيأخذنا كمؤمنين، ولكن هناك سلام يفوق كل عقل عندما نضع حياتنا وإرادتنا بين يديه.

كثيرون منكم يقفون عند مفترق طرق جسيماني. السؤال الكبير هو حول الخضوع لإرادة الله: هل ستسلم إرادتك وتضع حياتك بين يديه؟ كلمة الله تقول لنا

لنثبت أعيننا على يسوع، مؤسس إيماننا ومكملته، الذي من أجل الفرح الموضوع أمامه **احتمل الصليب**، مستهيناً بالخزي، وجلس عن يمين عرش الله **(عبرانيين 12: 2)**.

صلاة: شكراً لك على الاختيار الذي اتخذته في جسيماني، يا رب. لقد نظرت إلى الأمام ورأيت كل واحد منا، فامتلاً قلبك فرحاً، مما قونك على تحمل ما تحملته. ساعدنا على وضع إرادتنا وحياتنا بين يديك والثقة بك. آمين.

كيث توماس

www.groupbiblestudy.com

فيسبوك: keith.thomas.549

البريد الإلكتروني: keiththomas@groupbiblestudy.com

يوتيوب: <https://www.youtube.com/@keiththomas7/videos>